## فخري قعوار أو المقالة الغائبة

**معن البياري**

عندما ترشّح القاص الأردني، فخري قعوار، للمنافسة على المقعد المسيحي في إحدى مناطق عمّان، في انتخابات مجلس النواب في 1989، رأى كثيرون أن حضوره الثقافي، أدبياً مُجدّاً، وكاتباً للأطفال وللمسرح وللإذاعة والتلفزيون، لا يكفيه في مباطحة أسماء أوزن منه سياسيّاً وأكثر حضوراً منه في المجال العام، فكان التوقّع الأوسع أن يُخفِق في نيْل المقعد في المجلس الذي ما زال يعدّ الأقوى من البرلمانات التي تلته في الأردن، غير أن فخري قعوار ظفر بالنيابة، ويُشار إلى اسمه واحداً من نجوم ذلك المجلس، ومن أكثر الأعضاء فيه شجاعة، ورقيّاً في الأداء والعملين التشريعي والرقابي. والذي غاب عن أفهام الذين استبعدوا نجاح الصديق الراحل قبل أيام، في تلك الانتخابات، أنه كان كاتب مقالةٍ صحافيةٍ يوميةٍ واسعة المقروئية في «الرأي»، أكبر صحيفة في البلاد. ولا يعني هذا أن في وسع أي كاتبِ مقالاتٍ في أي صحيفةٍ أن يُحرز مقعداً في البرلمان، وإنما أن مقالة فخري قعوار توفّرت على أسباب الاستقبال الطيّب لها، ليس فقط في مضامينها ومُرسلاتها، سيّما وأن الحديث هنا عن زمنٍ كانت الحريات الصحافية في الأردن ضيقة، وإنما أيضا في كتابتها نفسها، في مبناها ولغتها وجملتها، في إيقاعها، في نأيها عن التأنّق، وفي حفاظها، في الوقت نفسه، على وضوح العبارة وكثافتها، في مستوىً ثقافيٍّ لها، لا يتعالى على القارئ، وإنما يتباسط معه، ويلتقي معه في مساحات النثر اليومي المتداول، البعيد، بداهةً، عن الهابط، بل الجذّاب في إيقاعه وارتباطه بالحياة وتفاصيلها.

أقول إن زمناً ذهبياً للمقالة الصحافية النابهة، الذكية، القادرة على «الصّحبة» مع قارئها، قد انتهى. وليس في التأشير إلى هذا هنا نزوعٌ إلى التغنّي بكل ماضٍ، وإنما هو التحديق في الشحوب العام الذي يتسيّد الكثير مما يحسبها أصحابُها مقالاتٍ يكتبونها وينشرونها بزهوٍ يجعلنا نستذكر الزمن الذي كان فخري قعوار من أعلامه. وبطبيعة الحال، إنْ لا يستقيم تعميم هذا القول بالإطلاق، إلا أن الاستثناءات النادرة، المعدودة، والتي يُشار إلى تميّزها، مقالاتٍ عالية القيمة والسويّة، لا تلغي أبداً القول، من دون حرجٍ أو تحسّب، إن البؤس مقيمٌ في راهن المقالة الصحافية في الأردن. ومن شواهد على هذا ملحوظة أن بعض من كانوا، في أطوارٍ مضت، أقلاماً رفيعةً في كتابة صحافية يومية أو أسبوعية، ما عادوا كذلك، فصار جائزاً السؤال عمّا يجعلهم يواظبون على نشر ما ينشرونه. وإذا صحّ أن من أسباب هذا التشخيص ما أحدثته وسائط التواصل الاجتماعي ومنصّاته من سيولةٍ ظاهرةٍ تخصم من «فنيّة» المقالة الصحافية وعذوبتها، فإن هذا لا يُعفي من يتصدّرون كتابة المقالات، القصيرة والطويلة، من استحقاقاتٍ لا يجوز التسامح معها، ومنها الثقافة والمعجم اللغوي الواسع والخيال، وعدم الاستسلام للبساطة التي تعني الفراغ والضعف، ولا تتوازى مع العمق والنباهة والذكاء، والجملة الموحية. وقد أبلغنا شيخُنا أبو هلال العسكري، في كتابه «الصناعتيْن»، إن «الكلام إذا كان لفظه غثّاً، ومعرضه رثّاً، كان مردودا، ولو احتوى على أجلّ معنى وأنبله، وأرفعه وأفضله». ومن النافل أن يجري التذكير هنا بالبديهيّة إيّاها إن سوية المقالة الصحافية ليست في مقولتها (على أهميّتها)، وإنما، قبلها وبعدها، في الكيفيات البنائية والأسلوبية واللغوية التي تنطرح فيه هذه المقولة. لا يخصّ هذا الذي يسّر رحيل فخري قعوار، رحمه الله، مناسبة الإتيان عليه، راهن المقالة الصحافية في الأردن، وإنما ينسحبُ على مشهدٍ عريض في الصحافة العربية، المقالةُ فيه متعبة، مريضة، عادية، فلا تُصادف، إلا قليلا، أفكاراً على نباهة وحذاقة، لا تلقى اللغة المتملئة بالإيحاء، ولا النثرية الرائقة، المجلاة بالمعنى والمغزى بإيجاز وكثافة ضروريين. ثمّة الإسهاب والتطويل والحشو والرتابة والإخوانيات الذاتية والجفاف والمعجم الضيق، وثمّة انتفاخٌ في كتّابٍ يجعلهم يشعرون بعدم الحاجة إلى التسلّح بمعلوماتٍ موثقةٍ بخصوص ما يُدلون بصدده من آراء، يداهنون بها هذه السلطة أو تلك، أو يجاملون بها هذا المسؤول أو ذاك، أو عندما يُفتون في الديمقراطيات والمقاومة وإسرائيل وحزب الله وترامب وأوكرانيا.

أتذكّرها مقالة فخري قعوار تجول في شؤون بالغة المحلية في الأردن، وتطوف في مسائل اخرى بلا عدد، كانت مقالةً تتوفّر على المؤانسة والإمتاع، على صداقةٍ مع القارئ، بنباهة وذكاء ... وبدهاء أحياناً. أتذكّرها لأنها غائبة، لأن كثيراً مما نقرأ يأخذُنا إليها وإلى غيابها.

## الانقسام العراقي الإيراني

**أحمد سعداوي**

انتشر خبر على صفحات مواقع التواصل العراقية قبل أيام عن وصول العراق إلى الاكتفاء الذاتي من بيض المائدة، ولم تتوفّر معلوماتٌ أكثر يمكن معها تحرّي مصداقية هذا الخبر. وبعد بضعة أيام، انتشر خبر آخر يعرب فيه المزارعون المعنيون بإنتاج البيض عن استيائهم لاستمرار استيراد بيض المائدة الإيراني، رغم عدم حاجة العراق إليه. بغض النظر عن دقّة هذه الأخبار من عدمها، فهي تجري ضمن سياقٍ معروفٍ من سنوات عديدة: فالعراق يعتمد، في استيراده مواد أساسية كثيرةً على إيران، وهناك تداخل اقتصادي وثيق بين البلدين، لعل أبرزه ملف الطاقة الكهربائية، حيث يستورد العراق الغاز الإيراني لتشغيل محطّات توليد الكهرباء. ولطالما كانت هذه نقطة حسّاسة في التفاوض مع الجانب الأميركي الذي يرغب في تضييق الخناق الاقتصادي على إيران، ويشجّع العراق دائماً على إيجاد بدائل عن الغاز الإيراني. تحاول الحكومات العراقية المتعاقبة أن توازن الضغط بين الجانبين الأميركي والإيراني، وقد تتحمّس الحكومة، كما كان يحدث في عهد رئيس الوزراء السابق، مصطفى الكاظمي، للادّعاء أن العراق صار يلعب دور المفاوض في المنطقة، ولكن هذه الادّعاءات لم تمرّ من دون سخرية العراقيين على مواقع التواصل، فمنهم من قال إن حدود دور العراق في كل المنازعات التي كانت تدور في المنطقة، فضلاً عن التصعيد غير المسبوق الحاصل حالياً، كان أن يقوم بدور «الجايجي»، أي: الذي يقدّم الشاي للمتفاوضين.

بعيداً عن السخرية، تحوّل العراق، بحكم الأمر الواقع، خلال السنوات الماضية، وتحديداً ابتداءً من الحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، الى منطقة أبواب خلفية للتفاوض بين الخصوم والفرماء، ولا سيما أميركا وإيران. ومع ذلك، من الصعب الادّعاء أن العراق تحوّل إلى طرف ثالث مستقل، فهو منطقة صراع وتسويات، يمارس أحياناً دور «الوساطة» لامتصاص الصدمات، وتتعرّض الطبقة السياسية الحاكمة فيه إلى استلابٍ عميق للصلاحيات، إن كان بفعل الضغوط الأميركية، أو أذرع إيران المؤثرة داخل العراق.

تحاول الحكومة العراقية، برئاسة محمد شياع السوداني، ولا شكّ، أن تمتثل لمصالح العراق العليا، وتتصرّف وفق المعطيات الواقعية التي تجعل مساحة الحركة والتأثير محدودة، فهي وليدة البرلمان العراقي وقواه السياسية التي تميل أغلبها مع الهوى الإيراني، وهي من الجانب الآخر تسير وفق اتفاقات أمنية واستراتيجية مع الجانب الأميركي. إنه وضع حرج وغير مريح لأي سلطة سياسية تريد فعل الكثير من دون وجود أدوات تساعدها على ذلك. وعلى الرغم من الموقف الصريح الذي أعلنته رئاسة الوزراء، أو بعض مستشاريها أن العراق لن يشترك في الحرب الدائرة، وسيكون ضمن الجهود الداعية إلى إيقاف الحرب، لكنها لا تستطيع أن تتقدّم أكثر في هذا المسار، ولا تستطيع ردع المليشيات المسلّحة المنخرطة فعلياً ضمن المحور الإيراني، وتحاول بصعوبة موازنة الأمور، حتى لا تفلت من يديها.

من جانب آخر، يعكس الانقسام في الساحة العراقية ما بين مواقف رسمية وأخرى تمثلها بعض المليشيات انقساماً في دائرة صنّاع القرار في إيران نفسها، فهناك من المؤثرين النافذين في السلطة الإيرانية من يرغب في أن لا يجرّ العراق إلى النار، وأن يبقى «وسادة» يتكئ عليها الاقتصاد الإيراني، وأبواباً خلفية للتفاوض السرّي مع الأعداء. وعلى الجانب الآخر، هناك من دائرة صناعة القرار الإيراني من يرى أن هذا هو وقت الاستفادة من الاستثمار في الساحة العراقية، فإيران أمام لحظة مصيرية، وإن لم تستفد من مساعدة العراقيين في حربها المعلنة مع إسرائيل فمتى سيكون ذلك؟

## «سورية الأسد» إلى أين؟

**عبير نصر**

لا مجال للاستهانة بخطورة مخرجات شخصية بشّار الأسد العنفية المتلاعبة، لأنّ الأمر يتعلق بحساسيةٍ سياسيةٍ فائضة، فالشعور الخادع بالعظمة والقوة الذي يميّزها ليس صادراً عن عبث، بل عن ثقةٍ مطلقةٍ بأنه محميّ ومُبارك من المجتمع الدولي، ولتذهب سورية برمتها إلى الجحيم. وعليه، لم يتوقف يوماً عن الخداع والمناورة، ليبدو سائحاً سعيداً في خضم المؤتمرات العربية المحتدمة التي ستحدّد مصير بلاده المدمّرة، مطمئناً إلى أنّ عرشه محصّنٌ ولن يأخذه منه أحد. من ثم، لا معنى لكل محاولات التلطي وراء الدجل العالمي وقلقه المزعوم على السوريين، فهذا الهراء الإنساني ليس أكثر من تعمية مقصودة ومنمهجة عن حقيقة ما يجري، لأنّ المناخ السياسي العام بات مشحوناً بمشاريع ديمغرافية قادمة وسط غياب تام للرادع الدولي.

ومن نافل القول إنّ واقع المنطقة يحكم على نفسه بالنقصان المعرفي سلفاً حين يستبعد حقيقة أنّ سورية لا يمكن أن تكون جسراً لعبور أيّ مشروع إقليمي أو دولي، وإنما هي ركيزة أساسية في تثبيت هذه المشاريع. إذ وبينما تخترع إسرائيل ذرائع الدفاع عن كيانها لخدمة سرديّتها التوسّعية، وبفجاجةٍ مثيرة للغثيان، يبدو العدوان المتلازم على لبنان وتصفية الحسابات «المزعوم» مع حزب الله، مقدّمة لرسم شرق أوسط جديد بوابته دمشق. لا تكون طهران لاعباً مؤثراً فيه إلا إذا تخلّت عن طموحاتها النووية، وابتعدت عن المحور الشرقي. في المقابل، يدرك بشّار الأسد أنّ المنطقة على حافة تغيير كبير في ميزان القوى، وأنّ نتائج المعركة ستعيد تقييم نظامه، حتّى مع سياسة الناي بالنفس التي ينتهجها، ليقينه العميق بأنّه ليس هناك ما يكسبه من التورّط في اللعبة الخطرة، وأنّ لديه الكثير الكثير ليخسره.

وصل الأسد الابن إلى مرحلةٍ متقدّمة من الاعتلال السياسي في وقت أقصر نسبياً مما وصل إليه طغاةٌ آخرون، وهذا طبيعي ومفهوم، فهو الذي ورث الحكم بأسرع تعديل دستوري في التاريخ، وما زال يظنّ أنه يمكنه مفاوضة العالم لصالحه. يفوته أنه عندما لعب والده على حبال التوازنات والمصالح الإقليمية والدولية كانت سورية في وضع مختلف تماماً، واليوم تبدو عاجزةً عن لعب هذا الدور الحسّاس، بعد خسارة أوراق قوتها باستثناء ورقة موقعها الاستراتيجي التي غدت بيد الآخرين، يُتاجر بها كما يريدون. على هذا، تتشظّى كلّ خطوات الخلاص في نفق اللاحتمية واللامخرج، وهذا مفصلٌ بالغ الخطورة تشهده «سورية الأسد» التي تنطوي بنيتها الاجتماعية على شروخ عميقة ومتجذّرة، ورطتها دائماً في دوامات عنف مدمّرة. فعلياً، يمكن الجزم بأنّ أكبر المخاطر التي تهدّد المجتمع السوري اليوم، المتماسك ظاهرياً بقوة القمع، والمتشكّل وفق مصالح الأطراف المحتلة لها، وليس صيغة المصالح الوطنية، هو الانهيار المفاجئ لنظام الأسد، ودخول البلاد في فراغ سياسي هائل، لن يتوانى عن ابتلاعها. في ضوء ذلك، يحتاج صمتُ بشّار الأسد إلى تحليلٍ واقعي في طبيعته، ورسائله، ونتائجه، بالتوازي مع احتمالية تطوّر الوضع نحو حربٍ شاملة. هو الذي اتخذ وضعية «المزهرية» منذ بدء «طوفان الأقصى»، ولم يطلق تصريحاً يتيماً لصالح الفلسطينيين، بل منع المساجد السورية من الدعاء لهم. تماماً كما أصدر أوامر، بعد اغتيال أمين عام حزب الله، حسن نصر الله، بإلغاء كلّ المظاهر التي تدلّ على وجود حزب الله في سورية وإغلاق مكاتب التطوّع فيه. يسوّق للعالم أنّ «أسد الممانعة» مزحة ثقيلة الظل، وأنه غيرُ معنيٍ أبداً باغتيال قيادات حركات المقاومة، لالتزامه بتفاهم 1974 (الأمني السرّي) المبرم مع إسرائيل، والذي تضمّن، في بنوده، منع أيّ جهة من استخدام الأراضي السورية لاستهداف إسرائيل، أمنياً وعسكرياً. رغم هذا، ستكون سورية، شعباً ونظاماً وجغرافيا، في عين العاصفة اللبنانية بالتأكيد، خاصة أنّ حزب الله، بعد دخوله سورية عام 2012، أسهم في إقامة مؤسّسات موازية للمليشيات المؤيدة للنظام. قوات مسلحة مستقلة، مشحونة بالطائفية والتطرّف، مزّقت أحشاء دولة أنهكتها الحرب، والغاية المبيّتة تمكين سطوته العسكرية والسياسية والعقائدية داخل سورية. يعكس هذا قدرة إيران على تحريك الأدوات واستخدام شروط القوة في المفاوضات عند الضرورة، لرغبةٍ منها في الحفاظ على مكتسباتها واستثماراتها طويلة الأمد في المنطقة، وبتر حالة القلق المزمن من مسار التطبيع العربي والتركي المحتمل مع النظام رغم هشاشته. ما يطرح السؤال الجوهري: هل ينقذ الصمتُ بشّار الأسد الذي يسير في حقل الغام، وما هي قدرته الفعلية على انتهاج سياسة «الحياد المفيد» تجاه التصعيد جنوب لبنان بعدما نقلت الإمارات تحذيرات إسرائيلية له بالابتعاد عن الحرب، وفق ما ذكره موقع أكسيوس الأميركي؟.

> خيارات الأسد محدودة، وترتبط بالانكفاء والترقّب في محاولة لتحييد عرشه عن طاولة الملفات الإقليمية الملتهبة

بالتساوق مع ما تقدّم، لم تتبرّ إسرائيل جدّياً خيار إسقاط نظام الأسد، ورغم أنّها غضّت الطرف عن التوسع الفارسي في المنطقة، اعتبرت تحرّك «محور المقاومة» ضدها انتهاكاً خطيراً لقواعد الاشتباك المنضبطة بينهما. إلى ذلك، قد يبدو أنّ دمشق وطهران في الخندق نفسه، وهذا ليس صحيحاً بالمطلق، فقد نقلت صحيفة وول ستريت جورنال الأميركية عن مسؤول أمني سوري وآخر أوروبي أنّ بشار الأسد أبلغ إيران رفضه الانجرار إلى حربٍ شاملة مع إسرائيل. والسؤال الوضعيّ الآخر هنا: هل ينقلب الأسد على حليفه الإيراني إذا امتلك الخيار، خاصة بعد استهداف إسرائيل «فيلا» ماهر الأسد، واعتبار هذا الاستهداف فرصةً موجعةً لرجل إيران الأول في سورية؟. الاحتمال وارد، رغم التخوّف من خاتمةٍ شبيهة بالرئيس اليمني السابق، علي عبد الله صالح، الذي قتلته جماعة الحوثي المدعومة إيرانياً، بعدما انقلب عليها. على التوازي، ثمّة معطيات هامة تُطرح بقوة في سياقنا، وتعزّز صوابية سياسة «الصمت المطبق» للأسد، وإدراكه أنّ أيّ خطأ في الحسابات يعني أن الثمن رأسه حُكماً. أهمها قرار «الحياد» لدول عربية عديدة، والذي سيبقى على حاله حتّى لو تعقّدت الأمور، لقناعتهم أنّ حزب الله يحصُد ما زرعه في المنطقة باسم طهران، بينما من الممكن دفع الأخيرة وتل أبيب نحو تفاهماتٍ أميركية تقلب الطاولة، وتفاجئ الجميع. أما الروس الذين يتوجّسون من امتداد التصعيد إلى سورية بعد فشلهم في إنضاج حلول سياسية تضمن بقاء الأسد عقوداً أخرى، فيبدو التفاهم جلياً بينهم وبين الجارة المعتدية، من خلال سلاسة (ودقة) تنفيذ الهجمات الإسرائيلية على أهداف إيرانية في سورية، ما يعكس الانتقائية العالية على إبقاء الروس بعيدين عن أيّ استهداف أو استفزاز.

يكتنف الغموضُ مستقبل سورية «الأسد»: أهو «العقاب» لتبنّيها محور المقاومة أم «الثواب» المرتبط بالحياد؟. وأمّا ما يخص الأسد نفسه، فخياراته محدودة، وترتبط بالانكفاء والترقّب في محاولةٍ لتحييد عرشه عن طاولة الملفات الإقليمية الملتهبة، مع توسيع هوامش مناورة الحلفاء، والتماهي بحذرٍ شديد مع متطلبات التطبيع للحيلولة دون فقدان تحكّمه في المشهد السوري. وبحسب باحثَيْن، السيناريو الأسوأ، على الإطلاق، توجيهُ إيران ضربة قاضية لنظام الأسد «المتلاعب» بإعطاء الأوامر لمليشياتها المتعدّدة الجنسيات في سورية بفتح جبهة الجولان، ومن دون الحصول على موافقة بشّار الأسد. حينها، ستعتقد إسرائيل بعدم جديّة الأخير في إحكام السيطرة على دولته «المليشياوية» التي ستشكل تهديداً مباشراً على أمنها القومي، ومن ثم، سيصبح خيار خلع الأسد لفتح الطريق أمام نظام جديد يعيد تشكيل دولةٍ سورية صافيةٍ من السموم الإيرانية، مطروحاً وبقوة.

(كاتبة سورية)

## مَن مع مَن في منطقتنا ولمصلحة مَن؟

**عبد الباسط سيدا**

يشبه مشهد الانقسام المجتمعي في المنطقة منذ عملية طوفان الأقصى، إلى حدٍّ ما، حالة الانقسام الحماسي بين جماهير كرة القدم. وتزيد الحماسة والتفاعل، كلما كثُرت المفاجآت غير المتوقّعة التي تؤدّي إلى ارتفاع وتيرة التعاطف مع هذا الفريق أو ذاك، غير أن هذه المقارنة تظلّ مجرّد مقارنة شكلية، تبسيطية، لا تتوافق مع طبيعة طرفي المقارنة ودوافعها وأهميتها. ففي وضعية المباراة، تظل المواقف في نطاق العواطف والهيجانات التي سرعان ما تتناقص حدّتها، وتأخذ طرق التهدئة، إلى أن تختفي في نهاية المطاف.

وبالنسبة للحرب الإسرائيلية المتوحشة على مجتمع غزّة المدني؛ لاسيما من الأطفال والنساء والشيوخ والمرضى، وعمرانها؛ فهي تحرّك أعمق المشاعر، وأكثرها ألماً ومرارة عند الفلسطينيين والعرب والمسلمين الذين يشعرون بغبْن كبير نتيجة حرمان الفلسطينيين من دولتهم وحقوقهم المشروعة؛ وهويتهم التي بها يعتزّون، إلى جانب التهديدات المستمرّة التي تتعرّض لها مقدّساتهم.

وما يزيد من درجة قساوة هذا الشعور، خاصة عند الفلسطينيين، تقاعس الدول العربية دبلوماسياً لتمكين الفلسطينيين من طرح قضيتهم بقوة في المحافل الدولية، وذلك في مناخ حصول تحوّلات إيجابية في المزاج الدولي العام على المستويَين الشعبي والرسمي لصالح القضية الفلسطينية. هذا في حين أن الدول العربية تلوم الفلسطينيين لإنقسام صفوفهم، ومراهنة الفصائل الإسلامية منهم على المشروع الإيراني وأذرعه، وهو المشروع الذي يقدّم نفسه بوصفه «محور المقاومة والممانعة» و«المدافع العنيد» عن الحق الفلسطيني، و«الرافض» مختلف صيغ التسويات التي كانت، أو التي ستأتي بين الدولة العربية وإسرائيل.

لا جديد في القول إن استخدام الشعارات التي تثير انفعالات دينية أو قومية، أو تتصل بمواضيع قديمة جديدة متجدّدة، مثل موضوع تحرير القدس الذي كان أداة للمنافسة، والتعبئة والتجييش؛ بقصد إقناع الناس. وقد عرفت منطقتنا هذا الأسلوب منذ أيام الدولتين العباسية والفاطمية؛ ومن ثم دخول الزنكيين والأيوبيين على الخط، حتى انتهت الأمور بزوال الدولة الفاطمية، ومن ثم الدولة العباسية، وهكذا وصولاً إلى المآلات اللاحقة التي لا يسمح المجال والاهتمام هنا بالتوسّع فيها.

ومع الانقلابات العسكرية التي كانت في الدول العربية الجمهورية، تم رفع شعارات تحرير فلسطين، لإضفاء مسحة من الشرعية على حكمها الذي كان يفتقر إلى أيٍّ من أوجه الشرعية المعروفة؛ سواء الديمقراطية الانتخابية، أم الملكية الوراثية المستندة إلى صيغة من المبايعة إو الشورى، أو غيرها من تلك التي كانت تعكس موافقة شعبية، حتى ولو في حدودها الدنيا الشكلية.

وفي بداية الثمانينات، كان التفاهم بين النظامَين، الأسدي والإيراني، في أجواء الحرب العراقية الإيرانية؛ وكان التوافق على تشكيل حزب الله تحت شعار «مأسسة «المقاومة» في الجنوب اللبناني؛ وكان لكل طرف ماربه بطبيعة الحال، فحافظ الأسد كان يريد قطع الطريق أمام الفصائل الفلسطينية، بزعامة ياسر عرفات. بينما كان النظام الإيراني يسعى، بكل الطرق، للوصول إلى المتوسّط بغية تصفية الحسابات مع نظام صدّام حسين. وما يُسجل لحافظ الأسد في هذا المجال أنه، رغم تحالفه العميق مع النظام الإيراني، كان يولي التوازنات الإقليمية، ومع الدول العربية على وجه التحديد، أهمية خاصة. لا يخضع بصورة كاملة للحليف الإيراني الذي لم يكن يخفي نزوعه نحو الامتداد في المنطقة، بالخلط بين المذهب والسياسة، واستغلال المظلوميات الشعبية، والظهور في مظهر القوة الإسلامية الواعدة. في حين أن بشّار الأسد أخَلّ بتلك التوازنات التي كان والده يحرص عليها، وسلّم جميع أوراقه إلى النظام الإيراني، بل إلى حسن نصرالله الذي كان يُعامل في ذلك الحين من غالبية المسلمين والعرب والسوريين بوصفه بطل تحرير الجنوب اللبناني.

ومع سقوط حكم صدّام وتفاعلاته ونتائجه؛ وهجوم «القاعدة» على مركز التجارة العالمي في نيويورك؛ وسقوط نظام حركة طالبان في أفغانستان؛ وحدوث فراغ كبير في المنطقة، وجد النظام الإيراني الفرصة سانحة أمامه للتمدّد في الشرق والغرب؛ حتى ساد انطباع عام بين الناس أن الجانب الأميركي قد أناط بإيران الدور الذي كان الشاه الإيراني يقوم به.

وبغضّ النظر عن التفصيلات، كان من اللافت، في مختلف محطّات الأحداث اللاحقة، اعتماد كل من الولايات المتحدة وإسرائيل سياسة غض النظر تجاه تدخلات إيران وأذرعها، بل والتحكّم الإيراني في شؤون دول عربية أساسية، والهيمنة على سيادتها وحكمها، سواء المحيطة بإسرائيل أو التي تمتلك احتياطات نفطية كبيرة، أو محاذية لمنطقة الخليج حيث منابع النفط والغاز، هذا فضلاً عن التغلغل إلى الداخل الفلسطيني، الأمر الذي من المفروض أنه يمثّل الخطّ الأحمر بالنسبة لإسرائيل.

وكان من نتائج هذا التدخل خلخلة تلك المجتمعات والدول، وترسيخ بواعث الفرقة، وانعدام الثقة على الصعيد الوطني بين الشيعة والسنة بصورة عامة، وقطع الطريق أمام التحوّلات الديمقراطية الإصلاحية التي مثلت محور المطالبات الشعبية في أثناء موجات الربيع العربي، والأولى منها على وجه التخصيص التي شملت تونس ومصر واليمن وسورية.

ورغم أن الأخيرة دولة مفتاحية مؤثرة، صمتت إسرائيل، ومعها الولايات المتحدة، في مواجهة مساندة إيران وأذرعها سلطة بشّار الأسد، وقمع الثورة السورية التي طالبت بالحرية والكرامة والعدالة. حتى تبلور لدى الناس إحساسٌ، مدعوم بمعطيات كثيرة، ماهيته أن ما يفعله حزب الله، وتفعله إيران، في سورية يخدم، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، لا يهم ما دامت النتيجة هي نفسها، الحسابات الإسرائيلية التي تأخذها الولايات المتحدة بالاعتبار عادة. وفي ضوء هذا التوجّه، برزت رغبة أميركية، وحتى غربية، في التوصل إلى اتفاق نووي مع إيران، وترويج فكرة الانسحاب من الشرق الأوسط، بذريعة أن التحولات الجيوسياسية الجديدة على المستوى العالمي تدفع الولايات المتحدة إلى إعطاء الأولوية لمنطقة جنوب شرقي آسيا التي تمثل الصين فيها خصماً جدياً للولايات المتحدة في الميادين التقنية والتجارية، وحتى العسكرية الاستراتيجية. ولكن ما حصل أن إسرائيل استغلت عملية طوفان الأقصى، لتبدأ هجومها العنيف، بل المجنون، على غزّة. وكانها كانت تنتظر الأمر ليكون مدخلاً للحد من النفوذ الإيراني في المنطقة، وفي لبنان وسورية تحديداً، وربما اليمن كذلك؛ وقد يشمل ذلك العراق أيضاً.

يساهم الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط في تعزيز الاستقرار في الغرب والشرق؛ ودعم الأنظمة الديمقراطية التي تعاني اليوم من جملة مشكلات وجودية، تتمثّل في مخاطر الإرهاب، والتشدّد، والعنصرية، والجريمة، والشعبوية بأشكالها المختلفة. وحتى تكتسب الدعوات المطالبة بحل مشكلات الشعوب (مثل الدعوة إلى حل القضية الفلسطينية على أساس حل الدولتين) المصداقية، كي لا تغدو مجرّد شعارات للتضليل والتعمية، كشعارات النظام الإيراني وحزب الله؛ لا بد من العمل الجاد المضني المخلص للوصول إلى هذا الحل، والضغط على الحكومة الإسرائيلية، باعتبارها صاحبة السلطة والقدرة راهناً في هذا المجال، من أجل دفعها نحو القبول بهذا الحل، والعمل على الالتزام به، وتنفيذه.

وبالعودة إلى ما بدأ به المقال، لفهم ما يجري، لا بد من وضع الجزئيات ضمن سياق اللوحة العامة؛ وعدم التوقف عند التفصيلات والاكتفاء بها، كما يفعل جمهور كرة القدم؛ وعدم استخدام النتائج الرغبوية المتسرّعة؛ فذلك كله سيربك شعوب منطقتنا المغلوبة على أمرها، ويزيد من مستوى التيه الشامل الذي تعاني منه أصلاً.

> لا بد من وضع الجزئيات ضمن سياق اللوحة العامة؛ وعدم التوقف عند التفصيلات والاكتفاء بها، كما يفعل جمهور كرة القدم

(رئيس سابق للمجلس الوطني السوري)

## هل المطلوب «مشاغلة» مصر؟

**جيرار ديب**

فاجأت مصر منطقة القرن الأفريقي بانعقاد القمة الثلاثية مع إريتريا والصومال في أسمرة، الخميس 10 أكتوبر/ تشرين الأول الجاري، وحضرها إلى جانب الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي نظيراه الإريتري أسياسي أفورقي والصومالي حسن شيخ محمود. رغم الحديث عن فعالية اللقاء وأهميته على الصعيد الاقتصادي للدول الثلاث، إلا أنّ هناك من نظر إلى هذه القمة وحمّلها رسائل من الجانب المصري إلى الآخر الإثيوبي اللذين بينهما خلافاتٌ بدأت بقرار تشييد إثيوبيا سد النهضة على النيل الأزرق، وقد لا تنتهي بصراع النفوذ على البحر الأحمر بين البلدين.

لقد أثار المشروع حفيظة مصر ودفعها إلى تسجيل اعتراض شديد اللهجة إلى الجانب الإثيوبي، ما شرّع باب الصدام بين الدولتين، ففي أغسطس/ آب الماضي، أعلنت إثيوبيا أنها قامت بتشغيل توربينَين جديدين على سد النهضة الكبير، ما يتيح لها مضاعفة إنتاجها من الكهرباء، بفضل هذا السدّ الضخم الذي بنته على نهر النيل، مسببةً مشكلاتٍ مع دول حوض النيل، في مقدّمتها مصر. ووفق وزير الري والموارد المائية المصري، هاني سويلم، تتقدم مصر قائمة الدول القاحلة والأقل من حيث معدل الأمطار، مع الاعتماد شبه المطلق على نهر النيل بنسبة 98%، لافتاً إلى أن سد النهضة الإثيوبي أحد المخاطر الرئيسية على مصر وأمنها الغذائي.

وطد الخلاف المصري الإثيوبي العلاقة بين مصر والصومال، حيث تعاني الأخيرة من جارتها إثيوبيا التي اعترفت بإستقلالية إقليم «أرض الصومال» (صوماليلاند)، ما أعطى حقّاً لأديس أبابا بالوصول إلى ميناء بربرة، على البحر الأحمر. تحت عنوان «المصيبة تجمع»، وجدت القاهرة أن عليها التقدم خطوة إلى الأمام في ملفّ منع إثيوبيا من الاستمرار في مشروعها سدّ النهضة. ولهذا سارعت إلى دعم مقديشو، ليس حبّاً بها، بل من أجل ممارسة مزيد من الضغط على جارتها أديس أبابا، وفرضها معادلة «الوصول إلى البحر الأحمر مربوط عن تخلي عن مشروعها في سدّ النهضة». تضاف «أزمة النيل» إلى أزمات مصر، التي ارتفع منسوبها، خصوصًا مع رفض رئيسها السيسي عام 2020 تطبيق صفقة القرن التي طرحتها إدارة الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب. هي نفسها مصر اليوم تعيد رفضها التهجير القسري لفلسطينيي غزّة التي تلح عليه إسرائيل بمباركة أميركية فاضحة. فهل أزمات مصر في منطقة القرن الأفريقي جزءٌ من حرب «المشاغلة» التي تنتجها الإدارة الأميركية عبر تفعيلها الأزمات من دون التقدّم بحلول جذرية؟

كشف المتحدّث الإقليمي باسم الخارجية الأميركية ساميول فيرينج عن موقف بلاده من أزمة سدّ النهضة الإثيوبي في الشهر الماضي (سبتمبر/ أيلول)، معتبراً أن بلاده لا يمكنها فرض القرارات على الدول، في ظلّ تركيزها على الدول الأفريقية، لأنها منطقة حساسة، ولها أهمية استراتيجية.

تجد مصر في منطقة القرن الأفريقي حاجة إلى التدخل لحماية أمنها القومي والغذائي، ولكن هناك من يريد من مصر أن تغرق في حرب «مشاغلة»، علّ في ذلك ما يضعف من قدرتها على المقاومة والوقوف في وجه المشروع الأكبر الذي يحضّر للشرق الأوسط، والمتمثل بعملية «ترانسفير» لسكان غزّة إلى صحراء سيناء، بغرض إقامة موطن جديد لهم. وهذا ما كشفته وثيقةٌ مسرّبة من وزارة الاستخبارات الإسرائيلية عن مخطط تل أبيب لتهجير سكّان قطاع غزّة قسراً إلى سيناء. وتعود إلى أكتوبر/ تشرين الأول 2023، مشيرة إلى أن ذلك «سيحقق نتائج استراتيجية إيجابية طويلة الأمد».

المطلوب اليوم «مشاغلة» مصر التي تعدّ دولة إقليمية ذات وزن، كي لا تكون عقبة أمام المشروع الرئيسي نحو بناء إسرائيل الكبرى، في ظل الفوضى التي سبّبتها الحرب التي تخوضها إسرائيل على محور الممانعة. لهذا، الأمور ذاهبة نحو التصعيد، مع التعنّت الإسرائيلي برفض عودة سكان القطاع إلى مناطقهم، رغم إعلان جيش العدو، أنّ غزّة أصبحت «ساحة قتال ثانوية». ليس بالضرورة أن تنجح حرب المشاغلة في ثني القاهرة عن الاستمرار في الوقوف أمام المشروع الكبير، سيما وأن هناك إرادة صلبة عند الشعب الفلسطيني من التمسّك بأرضهم والحفاظ على هويتها، ولديها أيضا مروحة واسعة من الحلفاء الإقليميين والدوليين المعارضين تغيير الخريطة في الشرق الأوسط، والمطالبين بحق الشعب الفلسطيني بإقامة دولته.

> المطلوب «مشاغلة» مصر كي لا تكون عقبة أمام مشروع بناء إسرائيل الكبرى

(كاتب لبناني)

**كاريكاتير** عماد حجاج

## من جنّن إسرائيل كل هذا الجنون؟

**عيسى الشعيبي**

يضيق المقام عن تعداد العوامل والدوافع والفواعل التي تسبّبت في كل هذا الجنون المستشري في أوصال دولةٍ جنّ جنونها منذ عام مضى على الأقل، وأدّى إلى هذه الطفرة الهستيرية في الأفعال والأقوال الصادرة تباعاً عن حكومةٍ فاشيةٍ ومعارضة بائسة، وجيش يقتُل ولا يقاتل، وقادة رأيٍ عام، حرّضوا وعبّروا عن شهوة الانتقام، ودعوا من دون توقف إلى السحق والمحق والإبادة الجماعية بلا توقّف ولا تمييز. إضافة إلى ذلك، هناك أشخاص بشحمهم ولحمهم نفخوا على جمر الانتقام، وساهموا أكثر من غيرهم في إطلاق هذه الموجة العاتية من الجنون، وتغذية الشطط والشّعار، بصورة أشد مما كانت عليه الحال من قبل. لم يعُد وصم دولة الاحتلال بالجنون حكراً على أعدائها وهم كُثُر، أو على من تبقّى من أصدقائها، وهم قلة قليلة بالفعل، بل صارت هذه المفردة الدّالة على فقدان العقل تتردّد على ألسنة بعض كبار كتّ

# هل يمنع «التصعيد لوقف التصعيد» الحرب؟

**شريف أيمن**

استطاع الاحتلال الإسرائيلي تحقيق إنجازات استخباراتية وعملياتية بدأت في إيران باغتيال إسماعيل هنية، ثم تصاعدت على نحو سريع في لبنان باغتيال كبار قادة حزب الله، وفي مقدمتهم حسن نصر الله، ما أحدث مأزقين؛ أولهما لإيران ومحور المقاومة، وطبيعة الرد الذي سيحدثونه، والثاني لنجاحات عملية طوفان الأقصى، والأزمة التي عاشتها دولة الاحتلال بسببها منذ أزيد من عام، وبدأت تنتشي بانتصاراتها على إيران وحزب الله، ما جعل تلك النجاحات تنزوي أمام التقدّم الصهيوني في الأسابيع الأخيرة.

بدأ نتنياهو يتخفف من عبء الأسرى الإسرائيليين في غزّة، واتجه إلى الشمال بقوة، مخرسا أصوات الانتقادات والمطالبات الداخلية على وقع الاستعداد للحرب في الشمال، وساهم تحقيق الإنجازات في الساحات الإيرانية واللبنانية والسورية في إجبار بعضهم في الداخل الصهيوني على التماهي معه، والانخراط في حكومته، والصمت على مطالبات وقف حرب غزّة، بل وقبول الحرب في الشمال. وأغرت هذه الانتصارات الولايات المتحدة بقبول «إدارة الحرب في لبنان»، بدلا من وقف القتال عموما، وسادت نغمة الموافقة على «تدخل برّي محدود»، و«إزالة تهديد حزب الله من على الحدود»، وما إلى ذلك.

تداخلت هذه العوامل مجتمعة لتضع ضغوطاً شديدة على إيران وحلفائها، خاصة أن الوضع بات القبول بالهزائم وفك الارتباط مع غزّة أو التعامل مع الاحتلال بالمنطق نفسه الذي دفعه إلى الجموح بهذه الطريقة، وهو منطق «التصعيد لوقف التصعيد»، وهو إطار شديد الخطورة، إذ قد يؤدّي خطأً إلى إشعال الحرب الإقليمية التي تحاول جميع الأطراف عدم الانخراط فيها.

دخلت الحركاتُ المقاومة، وتحديداً حزب الله في لبنان، المعركةَ بسقف واضح، وهو تخفيف الضغط العسكري على قطاع غزّة، بما لا يسمح بتحقيق انتصار عسكري صهيوني على المقاومة في القطاع. ورغم تدمير القطاع تقريبا، تحقق هدف الحزب بقاء المقاومة في القطاع، والاحتفاظ بالأسرى، وسلامة قائد حركة حماس، يحيى السنوار، ولا نعلم يقينا وضعي القائدين، مروان عيسى ومحمد الضيف، لكن القدر المتيقن أن الهدف العسكري بإخضاع «حماس» لم يتحقّق، بدليل التأكيدات الصهيونية أن أي انسحاب من مكان ما في القطاع تتبعه عودة إلى السيطرة المدنية لـ«حماس»، فما بالك بالوضع العسكري!

> العبرة بالمآلات وتحقيق الأهداف السياسية والعسكرية، لا بالإجرام والتدمير اللذيْن يعدّان سمة لا تنفصل عن سلوك العدو منذ نشأته البغيضة

كذا لم يتحقق الهدف السياسي بإخضاع الحركة وفرض الإملاءات عليها، رغم اغتيال قائدها إسماعيل هنية، وهذا الإخفاق الصهيوني، رغم الدعم الأميركي والبريطاني وغيرهما استخباراتيا وربما عمليّاً، يرجع الفضل فيه إلى استعدادات المقاومة في غزّة، وكذا إلى دور حزب الله وباقي جبهات الإسناد، وإنْ بدرجة أقل من الاشتباك المباشر للحزب الذي قدَّم مئات الشهداء في المعركة.

وكشف حزب الله عن إخفاقات استخباراتية في الكيان المحتل، كدخول الطائرات وتصوير القواعد والمناطق الحيوية، وأسماء بعض قادة الوحدات وتاريخ تعيينهم، وما إلى ذلك، وهذه الخروق الاستخباراتية كبيرة، لكنها لا تُقارن باغتيال القادة الكبار وعمليتيْ أجهزة الاتصالات. ومع ذلك، كشفت عن خروق في جدار الاستخبارات الإسرائيلي الذي يتباهى بأنه الأقوى في المنطقة، فكانت هناك حاجة لترميم جدار الردع الصهيوني بعملية كبيرة، وبالفعل استطاع الكيان ترميم الصورة الذهنية له، بعد 11 شهرا من سحق كرامته في غزة وغلافها.

بعد العربدة الإسرائيلية، أصبح محور المقاومة في موضع الحاجة الضرورية إلى الرد، وهو في لحظة تراجع كبيرة غير عابرة، وفي تلك اللحظة من لحظات التراجع والألم، من المهم إدراك أن الإخفاقات الكبرى تحدُث في المعارك، والعبرة بمآلات المعركة لا حوادثها. ورغم أهمية الحوادث الكبرى، بالطبع، في سيرورة المعركة، فإن النجاح في لملمة الأوراق وعدم الاندفاع الذي قد يؤدّي إلى تعميق الأزمة، يسهمان في تحسين اتخاذ القرار، وبالتالي، الانتقال من مربّع استنزاف النقاط إلى اكتسابها.

ما يبدو أن محور المقاومة كان مستوعبا أهمية التعامل بهدوء من دون انفعال أو ظهور أمارات الانهزام، في ظل حاجة إيران، وحزب الله تحديداً، إلى تحصين معادلات الردع بعد الخروق الكبيرة، وانتبه الطرفان إلى قصر الاستهداف على الجوانب العسكرية؛ من منشآت وأفرادٍ، إذ لا يستلزم الردع إعلان الحرب، فالحرب تعني إلغاء قواعد الاشتباك والردع كذلك. وعليه، جاءت الردود التي بدأت تعيد ضبط الكفّة مرّة أخرى. أظهرت إيران يوم 1 أكتوبر/ تشرين الأول الجاري أن هناك ثمنا سيُدفع، وتعاملت بالمنطق الصهيوني نفسه؛ «التصعيد لوقف التصعيد»، واستطاعت الأسلحة الإيرانية اختراق الأجواء المحتلة رغم مساهمة قوى عظمى في صد الهجوم، ومشاركة عربية للأسف. وفي الجبهة اللبنانية التي كان ينبغي انهيارها بعد اغتيال معظم كبار قادتها، استمرّت العمليات من دون توقف، وبعد الاصطفاف العسكري الصهيوني على الحدود، زادت العمليات بقوة كبيرة، ومع بدء محاولات التوغل البرّي مُنيت هذه المحاولات بإخفاق كبير، وسقوط العسكريين من جيش الاحتلال بأرقام صادمة.

أصبحت قيادة الاحتلال في موضع رد الفعل مرّة أخرى، وعاد الداخل يضغط لإنهاء الحرب في الجبهات المفتوحة، وإعادة الأسرى، وسيحدّد سلوك قادة الاحتلال مسار المنطقة في مقبل الأيام، فإما أن نكون بين تبادل لعمليات عسكرية إيرانية – صهيونية من دون الدخول في مواجهة شاملة بين الطرفين، أو أن تنزلق المنطقة إلى حرب بين إيران وحلفائها من جهة ودولة الاحتلال ورعاتها في أميركا وأوروبا، ويبدو أن لا أحد معنيٌّ بهذا الخيار سوى نتنياهو المتمسك بكرسيّه على حساب عشرات آلاف من أبناء أمتنا، وعشرات من بني وطنه.

لقد أحسن حسن نصر الله، قبيل رحيله المؤلم، عندما بدأ خطابه الأخير ببيان أن الحرب سجال ودُول، ولم يفصح عن ردٍّ سريع وكبير، وأشار إلى أهمية تعطيل أهداف العدو، رغم التدمير الذي يتسبّب به، وكان هذا الخطاب مطمئنًا، فهو يعني إدراك مؤسّسات الحزب الفارق بين الفعل والغاية منه، وتعطيل الغاية إحدى درجات النجاح، كما بدا من خطابه أن الحزب لن يتعجّل الرد، وهذا كان مطمئناً أيضاً، إذ قد تتسبّب القرارات الانفعالية في عدم تقدير الأمور بصورة جيدة، ومرّة أخرى ستبقى العبرة بالمآلات وتحقيق الأهداف السياسية والعسكرية، لا بالإجرام والتدمير اللذيْن يعدّان سمة لا تنفصل عن سلوك العدو منذ نشأته البغيضة.

(كاتب مصري)

# هاريس قد تخسر بأصوات عرب ومسلمين

**عمر المشهداني**

أجرى الرئيس الأميركي السابق بيل كلينتون، في العام 2016، وقبل موعد الانتخابات بيومين فقط، زيارة الى مدينة ديربورن في ميشيغان، التقط فيها بضعة صور مع مجموعة من الشباب العربي، وتناول ساندويتش فلافل من مطعم الأمير، أحد المطاعم الشهيرة في المدينة. لم تهدف الزيارة بكل تأكيد للتعرف إلى ثقافة العرب الذين يمثلون الأغلبية المكوناتية في المدينة، ولم يدفعه الحنين إلى تذوق الطعم الأصلي للفلافل إلى زيارة المدينة كذلك، لكن الدافع كان دفع العرب إلى التوجّه إلى صناديق الاقتراع للتصويت لزوجته.

صبّت حينها كل استطلاعات الرأي في صالح كلينتون بالفوز بالرئاسة، وكانت خطوة زيارة كلينتون الزوج الفلافل غريبة، ولا تتناسق مع هذه النتائج المتوقعة. في حينها ردّد صديق لي «ساندويتش الفلافل هذا يخفي قلقا لدى كلينتون من الخسارة». وتحققت نبوءة الصديق، وخسرت كلينتون أصوات ميشيغان ومثلها ويسكونسن وبنسلفانيا. وخرج مسؤولو حملة هيلاري بعد الخسارة ليلوموا مرشّحة حزب الخضر جيل ستاين في التسبب بخسارتهم، ففارق الأصوات في ميشيغان بالتحديد لم يكن كبيراً بين هيلاري وترامب، لكن حصول مرشحة الحزب ستاين على 51 ألف صوت رجّح كفة ترامب، وخاصة أن حزب الخضر دائماً ما يستميل في العادة داعمي الحزب الديمقراطي من الشباب اليساري المتحمّس. وفي انتخابات هذا العام، تخشى كامالا هاريس من مصيرٍ مشابه في الولايات المتأرجحة الثلاث. وسعيا منها إلى كسب ود عرب هذه الولايات ومسلميها، عيّنت شابّتين: الأولى من أصول مصرية لتولي مهمة أقناع العرب بالتصويت لها، والثانية من أصول أفغانية تتولّى المهمة نفسها، ولكن مع المسلمين. وستكون مهمة الشابتين صعبة جدا في ظل حالة الحنق والغضب لدى الناخبين من تعاطي إدارة بايدن مع ملف الحرب في غزّة ومستجدات الحرب في لبنان. وتظهر استطلاعات الرأي التي أجرتها منظمات عربية وإسلامية أن غالبية العرب، وبنحو يصل إلى 40%، سيصوتون لصالح مرشحة حزب الخضر (اليساري) يهودية الديانة جيل ستاين، التي ظهرت في مناسباتٍ وتجمّعات كثيرة مناهضة للحرب في غزّةٍ وهي ترتدي الكوفية، وتردّد شعارات تدعو إلى إيقاف حرب الإبادة. وفي تجمّع لها بنهاية الأسبوع الماضي، وضمّ مئاتً من العرب والمسلمين في ميشيغان، قالت المرشّحة جيل ستاين إن هاريس ستخسر الانتخابات «سيخسرون ما يكفي من الولايات المتأرجحة بحيث لا يفوزون، ولا يمكنهم الفوز». ستقتل ولايات حزام الصدأ أمل الديمقراطيين كما جرى مع هيلاري كلينتون، إذا ما صدقت نتائج استطلاعات الرأي وتنبؤات ستاين. ولفهم الأمر، علينا النظر الى الإحصاءات السكانية ومدى تأثير العرب والمسلمين في رسم السياسة العامة لأميركا مع تزايد أعدادهم وتركزهم في ولايات متأرجحة تصوّت تارّة للديمقراطيين وأخرى للجمهوريين. في ميشيغان على سبيل المثال، توضح إحصاءات المعهد العربي الأميركي وجود نحو أربعمئة ألف عربي، يتركزون في عاصمة الولاية ديترويت، وتحديدا في مدينة ديربورن. ومع تصاعد حدة الغضب صوّت مائة ألف ديمقراطي خلال الانتخابات التمهيدية بعدم الالتزام بالإدلاء بأصواتهم لصالح جو بايدن قبل انسحابه. ولا يعني ذلك بالضرورة أن كل المصوّتين بعدم الالتزام كانوا من العرب، لكن في الوقت نفسه لا توجد أي بوادر تؤكّد أن حالة الغضب العامة قد انتهت، رغم إعلان بعض القادة المحليين تأييدهم هاريس خلال اللقاء القصير الذي جمعهم معها قبل أيام في الولاية. لم تتناول كامالا الفلافل في ميشيغان، لكنها حاولت أن تُعرب للعرب الذين التقتهم نصف ساعة فقط عن قلقها من تصاعد عدد القتلى في الحرب على غزّة، وعن مساعيها في منع اتّساع رقعة الحرب في المنطقة في حال انتخابها، من دون أن تعطي أي تعهدات بدولة فلسطينية أو تطمينات للعرب بإيقاف التمدّد الإسرائيلي شبيهة بالتي أعطتها في اليوم الأول لترشّحها حين قالت في فيديو إنها تتعهد بأمن إسرائيل، وإنها وعندما كانت صغيرة تجمع التبرّعات لزراعة الأشجار في الشوارع الإسرائيلية، وفي تكتيك انتخابي لتعقيد الأمر أكثر على المرشّحة الديمقراطية، موّلت لجان عمل انتخابية تابعة للحزب الجمهوري حملات إعلانية عبر شركة غوغل استهدفت سكان ديربورن من العرب، تضمّنت فيديوهات تشكر فيها كامالا هاريس على وقوفها إلى جانب إسرائيل باعتبار هذا كان صائباً.

> غالبية العرب، وبنحو يصل إلى 40%، سيصوتون لصالح مرشحة حزب الخضر (اليساري) يهودية الديانة جيل ستاين

يقطن في ويسكونسن التي خسرها ترامب في الانتخابات الماضية بفارق 20 ألف صوت فقط لصالح بايدن سبعون ألف مسلم، بحسب قناة إن بي سي الأميركية. ووفقا لاستطلاع مجلس العلاقات الإسلامية الأميركية، أجري في أغسطس/ آب الماضي، أكّد 40% من مسلمي الولاية الذين جرى استطلاع آرائهم أنهم سيمضون إلى التصويت لصالح مرشّحة حزب الخضر جيل ستاين، وسيعقّد هذا حالة الانقسام الديمقراطي أكثر، فأكثر من أربعين ألف شخص كانوا قد أعلنوا أنهم غير ملزمين بالتصويت في الانتخابات التمهيدية.

(من أسرة التلفزيون العربي)

# إيران وورطة طوفان الأقصى

**سمير الزبن**

منذ انتصار الثورة الإيرانية، والسلطة الجديدة فيها تبني نفوذها الإقليمي من خلال بناء أذرع لها في بلدان المنطقة، ولم تمنعها الحرب الايرانية العراقية من التوقف عن فعل ذلك، بل ربما كانت دافعاً إضافياً إلى إيجاد هذا الامتداد الإقليمي في المنطقة، من خلال بناء هذه الامتدادات المرتبطة مباشرة بإيران، وكان حزب الله اللبناني جوهرة التاج في معمار أذرع النفوذ الإقليمي في المنطقة. وليس سرّاً أن الحرس الثوري الايراني هو الذي أسّس الحزب في 1982، حيث أرادت إيران وجود نفوذ مباشر لها في الطائفة الشيعية في لبنان، وفي الصراع هناك. وبوجود قوات فرنسية وأميركية جاءت بعد حرب ذلك العام، وخروج قوات منظمة التحرير من بيروت بعد حصار وقصف عنيف ثلاثة أشهر. كانت الفرصة الإيرانية لاستهداف هذه القوات، فكانت عمليات الحزب الأولى في استهداف هذه القوات بتفجيرات ضخمة، أوقعت مئات القتلى بينهم، ما جعلها تنسحب من لبنان. وقد ساعد التحالف السوري . الإيراني في تأسيس الحزب، إذ اصطفّ النظام السوري في زمن الرئيس حافظ الأسد مع إيران في حربها الطويلة مع العراق ثماني سنوات، وهذا ما جعل دمشق القاعدة الخلفية لإيران، والتي شكلت الجسر الجوي لكل السلاح الذي وصل إلى حزب الله على مدار العقود المنصرمة منذ تأسيسه. ومن دون التحالف السوري . الإيراني، ما كان تأسيس حزب الله ممكناً، وحصوله على كل القوة العسكرية التي حصل عليها في السنوات اللاحقة لتأسيسه. مع الغزو الأميركي للعراق في العام 2003 وإطاحة نظام صدّام حسين، على خلفية الاتهامات الكاذبة عن علاقة مع تنظيم القاعدة بعد هجمات 11 سبتمبر في الولايات المتحدة، وأنه يملك أسلحة محرّمة، كانت الفرصة الإيرانية للتمدّد في البلد الذي حاربه ثماني سنوات. لم يمنع الوجود الأميركي المباشر في العراق بعد الاحتلال من التمدّد الإيراني عبر النخبة الشيعية التي احتضنتها إيران في فترة معارضتها نظام صدّام، وجزء كبير من هذه النخبة التي تحكم العراق منذ الاحتلال الأميركي حصلت على هذه الرعاية. ولم تكتفِ إيران بالتأثير السياسي، بل عملت على تشكيل مليشيات مسلحة مرتبطة بها مباشرة، وأصبح النفوذ الإيراني في العراق النفوذ الأكبر، وكأن الولايات المتحدة أطاحت النظام العراقي لمصلحة إيران. وتحولت في سورية العلاقة بين الطرفين، من علاقة تحالف كما كانت قائمة في زمن الأسد الأب، إلى محمية إيرانية في زمن الأسد الابن، ومن ثم محمية إيرانية . روسية. كان الأسد الأب يمسك البلد بقبضة قمعية أمنية هائلة، أخضعت البلد بالحديد والنار، خاصة بعد مذابح مدينة حماة في فبراير/ شباط من العام 1982. أخذت هذه القبضة بالتحطّم مع وصول ثورات الربيع العربي إلى دمشق، وتبيّن أن هذا النظام، المتغوّل عبر شبكته الأمنية، أضعف من أن يحمي نفسه من ثورة السوريين التي انفجرت في وجهه. فكان الدخول الإيراني على الصراع في سورية قد جعل النظام نفسه رهينة إيران، ولم تعد العلاقة بين الطرفين علاقة تحالف، بقدر ما أصبحت علاقة تبعية، فلم يعُد التأثير الإيراني عبر النصائح، بل أصبح النظام يدار إيرانياً، وأصبحت هناك قوات إيرانية، ومليشيات عراقية وغير عراقية تقاتل في المدن السورية، وترتكب الجرائم بحق السوريين. ولم يكن حزب الله خارج هذه المعادلة، فقد دخل الأراضي السورية لقتال السوريين، بدأ من القصير في حمص التي قتل أهلها وهجّرهم بذريعة أنهم إرهابيون، ومن ثم في باقي المدن السورية.

> جاء هجوم مقاتلي حماس في 7 أكتوبر على البلدات الإسرائيلية في غلاف غزّة، ليفرض معادلة جديدة، ليست واردة في الحسابات الإيرانية

جاء «طوفان الأقصى» خارج كل الحسابات الإيرانية. وبالتأكيد، جاء ضد تقديراتها، وهذا ما جعله لا يُربك الحسابات الإيرانية فحسب، بل يفرض عليها قلب استراتيجيتها في المنطقة التي عملت عليها خلال العقود المنصرمة. لقد صمّمت إيران نفوذها الإقليمي على أساس إمبراطوري، وهو ما يقوم على أساس، أن أذرع النفوذ التي تتحكم فيها بالبلدان الأخرى، عليها أن تعمل على حماية راعيها، وأن تقاتل معه عندما يتعرّض لهجوم. جاء هجوم مقاتلي حركة حماس في 7 أكتوبر (2023) على البلدات الإسرائيلية في غلاف غزّة، ليفرض معادلة جديدة، ليست واردة في الحسابات الإيرانية، لأن الرد الإسرائيلي الوحشي على الهجوم لم يقدّره من قام بالهجوم، والذي نجح أكثر بكثير مما توقع. هو ما فرض تضامناً ممن تحدّث طويلاً عن «وحدة الساحات»، فكان التضامن الخجول من حزب الله بقواعد اشتباك محدودة. ولكن إسرائيل انتظرت حتى انتهت من المهام التي تريدها في قطاع غزّة، لتبدأ حربها بضرباتٍ قاسية على حزب الله، وصلت إلى اغتيال أمينها العام حسن نصر الله وقتل أغلب قياداته الأولى. في هذه الدورة من الصراع، وجدت إيران نفسها مضطرّة إلى الرد مرّتين، مباشرة عبر هجمات بالصواريخ البعيدة والطائرات المسيّرة، مع التأكيد المستمر أنها لا تريد الحرب. المشكلة الإيرانية أنها لم ترغب في الوضع القائم، وأنه جاء مناقضاً لتصوّرها عما تريده من أدوات نفوذها في المنطقة، فوجدت نفسها في ورطة الدفاع عنهم، بدل أن يدافعوا عنها.

(كاتب فلسطيني في استوكهولم)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد
(Fadaat Media Ltd)

رئيس التحرير **معن البياري** ■ مدير التحرير **ارنست خوري** ■
المدير الفني **إميل منعم** ■ السياسة **جمانة فرحات** ■
الاقتصاد **مصطفى عبد السلام** ■ الثقافة **نجوان درويش** ■
منوعات **لياك حداد** ■ المجتمع **يوسف حاج علي** ■ الرياضة **نبيل التليلي** ■ تحقيقات **محمد عزام** ■ مراسلون **نزار قنديل**

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، **لندن**
Ealing Cross, Second floor, 85 Uxbridge Road, London, W5 5TH
Tel: 00442045801000
■ مكتب **الدوحة**
الدوحة ـ برج الفردان ـ لوسيل ـ الطابق الـ 20 ـ
هاتف: 0097440190600

■ مكتب **بيروت**
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: +97440190635 جوال: +97450059977
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads